سعية اهل القلم تحيي ذكرى ميشال شيحا

ن ميشال شيحا بحق معلم الجميع
صية لبنان مدينة له بتحديدها وبروزها واشعاعها

الحفل الكريم

نيف وسنة اعتلى هذا المنبر من الندوة اللبنانيه الرئيس بو شهلا والاساتذة ايلي تيان توني ورينه حبشي ومحيي النصولي وشارل حلو وقدموا ذ ميشال شيحا باسم مئات ر وعشرات الالوف من ع ضمة من إزاهير قلوبهم هم عربونا لقدرهم ومحبتهم كان قد نال قبل بضعة اسابيع كتور شرف من جامعة ليون ـام الارز الرفيع .

ل أن تنقضي السنة غاب هذا عنا ، او بالاحرى غابت عن عيوننا ليحيا في قلبنا ، وما هذه البادرة اليوم اهل القلم في احياء ذكرى شيحا الا احد الادلة على جل حي بيننا تعيش رسالته ماق قلوبنا .

مس واليوم ايها السادة ، ميشال شيحا صحفيا مثاليا را كبيرا ومفكرا عميقا اديا عالما ومثقفا مطلعا ومواطنا جاهدا وانسانا خبيرا وحكيما موجها :

، هذا صحيح ايها السادة . عيد لاقي اهله . بل اكثر من ، واني استميح خطباءنا : لن تتجلى حقيقة هذه العظمه حافته الـ ـلة ، شعاع الكـ

« ميشال اسر »

في هذا الاعتراف بهذا القلب الكبير ، يكمن مفتاح السر في شخص ميشال شيحا ، وهو ايضا يكشف لنا عن جميع الآفاق التي جابها ويجعلنا نتبين معالم مغامرته الكبرى . فالواقع ان في حياة ميشال شيحا مغامرة كبرى : فمنذ سنه العشرين التقى السجينة الحسناء . كان ذلك في خلال الحرب العالمية الاولى يوم كانت الامبراطوريات تتفكك والاوطان تنهار . وكانت السجينة جميلة حتى لعبادة شغوفة بالحرية حتى الجنون ، يزيد في روعها مسحة من الالم ـ الم القيود تقل كاهلها . فملكت عليه لبه وكانت بداية المغامرة . لاجل تحريرها سافر لى مصر ، لاجل اعادة الاشعاع الى عينيها جمع بعض الرفاق في العمل والنضال ، وفي سبيل ابراز غنى تراثها وطاقة امكانياتها دخل المعترك السياسي فانتخب نائبا عن بيروت عام ١٩٢٥ على لائحة العمرين بيهم والداعوق بالرغم من مقاومة السلطة المنتدبة لترشيحه ، ثم قاد حملة تجهيز اللباس الذي يليق بها ويلائم وضعها ويضمن لها الاستمرار والازدهار .

ـ الينبوع مزدوج : الله ولبنان .

والايمان ايمان كياني بالله وبلبنان .

لغيرنا ، ايها السادة ، ولنا في مناسبة غير هذه ، ان نتحدث عن ميشال شيحا المؤمن المتعبد . عبر اننا نود لو نلاحظ هنا ان ميشال شيحا انطلق في تفكيره من لبنان مؤمن بالله وبالروحيات . وهكذا ، عندما كان يعايش لبنان في قلبه وعقله ، كان يوحد جباله ووديانه وسهوله بالشان الالهي ، حتى غدت ركيزة عمله الله في لبنان او لبنان مع الله .

نكتفي بها خاطرة الان قد يقيم الدليل عليها في وقت اخر ، ولنعد الى لبنان .

واليكم هذا القول :

« لبنان ينتسب تقليدا الى الشرق والى الغرب معا وبالتالي الى باليف منسجم بين ارقى الحضارات . وهو بالرغم من صغر مساحة ارضه مدعو لتاديه رسالة دولية لا تضطلع بها الا الامم الكبيرة . فدوره هو دور توفيق اخوي بين تنوع النفوس والثقافات . »

ايها السادة .

لن اطلب منكم الان ان تكتشفوا صاحب هذا القول ، وان كان اكثرهم قد نسبه الى ميشال شيحا . ان تعريف لبنان بهذه الصورة رسمه الرسم ايزنهاور منذ سنتين تماما عبر لتاريخ القديم والجديد وان يستوحي هديها محددا معالمها في الزمان والمكان .

وكان الروح القدس هبط عليه عند ذاك فنصبه هو نفسه رسولا لبنانيا للبنان والعرب والعالم .

فانشا جريدته « له جور » عام ١٩٣٤ وراح طوال عشرين عاما منذ ذلك التاريخ حتى قبيل وفاته بثلاثة ايام ، يسبر غور الكتب ويعايش كل جامد وحي مر في هذه البلاد ، بثقافة عميقة ووعي مدرك حتى حدد شخصية لبنان واقامها ايمانا في قلب وشريعة في ضمير وترانا غنيا في حياة .

وزاده الروح القدس هديا فاصبح وكانه يدرك نفس الشعوب ونفوس حكامهم من ساحل الاطلسي الى شواطىء الابيض المتوسط ، ومن شاطىء المحيط الهدي الى ساحل المحيط الهادي .

فكان المعلم وطمح الكثيرون ان يكونوا التلاميذ ، وفعلت مدرسته هنا في نفوس افراد الشعب وعند النخبه التي بشرت بها قاعدة في الشرق والغرب فكان لنا هذا التعريف للبنان يرسمه الرئيس ايزنهاور وهو واجد من الف ، و دان للبنان مكانه المرموق تحت الشمس .

ايها الحفل الكريم .

عندما سرى نبا وفاة ميشال شيحا ماذا ، ومرض الرجل دان يوءذن بذلك ، لمادا ذهلت العقول وجمد الدم في العروق ؟ امام عظمة الصدمة لم تتبين السبب في حينه . موءلمة للمسلمين والمسيحيين على حد سواء ، فهو قد بشر طوال حياته بمبدا التعايش المحب بين الفريقين بانتظار صهر جميع العناصر في وحدة وطنية كاملة » .

ايها السيدات والسادة .

مكنتني الندوة اللبنانية في السنوات العشر الاخيرة من توثيق عرى الصداقة بيني وبين قادة الراي في البلاد فاستطعت هكذا ان اكتشف عند الكثيرين منهم عقولا نيرة واخلاصا وطنيا صافيا وروحا قومية بناءة . وهكذا ليس في نيتي ان اغمط حق احد منهم في نهضة وطننا الحديثة . ولكني على يقين انهم يوافقونني على ان ميشال شيحا كان معلم الجميع وان شخصية لبناننا اليوم مدينة له بتحديدها وبروزها واشعاعها .

لقد كان نقطة الثقل في لبنان وبعد غيابه يتوجب على جميع اللبنانيين ، حكومة وشعبا ، ان يزيدوا في الحذر والسهر على وطنهم ويجهدوا في الحفاظ على رسالته .

لقد سلمنا ميشال شيحا وطنا بناه قلبه وعقله بالمحبة والتيقظ وعرق الجبين . فلنحذر ان ننسى الى الماضي . رسالة ميشال شيحا للمستقبل وعلى اصحاب السلطة عندنا ، وعلى الصحف الوطنية ، وعلى خطباء الليلة ، وعلى ارباب الفكر وحملة الاقلام ، وعلى موءسسة ميشال شيحا

العميق وعلمه في الاقتصاد وثقافته المبدعة ووطنيته الجاهدة وانسانيته الخيرة الموجهة الا في الرجوع در كل ذلك في كتب هذا وفي ما حقق من سيرة مثالية يبقى ان نشكر الخطباء على توحوا هذه المصادر ليدلوا يدعوا الى اكتنازها في العقل والضمير .

ان الاهم يبقى . وان نحن ك هذا الاهم ، فلت من ايدينا الذهبي الذي يربطنا بالرجل وجوه نشاط هذا الرجل ع الذي استقى منه وتغذى . اجل ، ايها السادة ان عمل رجل وتتاجه حاضران هنا لكل عين ، صامدان على . ولكن ما يجدر بنا ان اليه ونظهره هو الاساس الذي عليه هذا العمل وهذا ، هي القوة الخفية التي في جوهرهما وتولدهما رهما ، هو الايمان والمحبة ن كانا فيه ومنه يلفان كيانه ن يفع حتى لفظ نفسه الاخير ان يتغلغلان في كل كلمة احبرا على ورق وفي كل ة خطاها ـ يهيمنان على جسده حه اجمعين .

ان نحن ادركنا هذا الاهم ايها ات والسادة ، استوى عندنا ل شيحا في حقيقة وجوده ـ فاتنا هذا ، ظلمنا الرجل وغاب في صميمه .

. . . . . .

والان اي هو الينبوع الذي امد ، ميشال شيحا وتتاجه بماء الحياة هو الايمان الذي انبثق منه هذا ل وهذا التاج ؟

في جعله نديم سفير لبنان الدكتور شارل مالك اوراق اعتماده ، في البيت الابيض في واشنطن . ولو عدنا ايها السادة ، الى ثلاثين سنة خلت ، او لو افترضنا لحظة ان رئيس الولايات المتحدة الاسبق وودرو ويلسون الذي يجاور ريحه ثلاثين سنة ، لا يزال في قيد الحياة مجمدا في واقع العام ١٩١٦ وشهد المطهر الديبلوماسي الاميركي ـ اللبناني في مقر الاميركي رئاسة عصريه ، لوقف مذهولا لما يقوله خلفه لممثل لبنان اذ انه عندما اطلق مبادئه الاربعة عشر كان لبنان في ذهنه ـ وهذا ان كان للبنان الحظ يومذاك ان يكون حاضرا في ذهنه ـ بلدا غير واضح المعالم غير مستقر في جغرافيته او تاريخه .

فماذا عدا اذن مما بدا ليشهد ايزنهاور للبنان بما شهد ؟

ايها السادة .

عام ١٩١٩ كان ميشال شيحا في الثامنة والعشرين من عمره وكان قد انهى دروسه الثانوية في كلية القديس يوسف عام ١٩٠٦ ، ثم قضى بعدها ثلاث سنوات في انكلترا يحصل في العلوم التجارية والمالية يعود منها الى لبنان ليغادره مكرها الى مصر عام ١٩١٥ يتابع دورس الحقوق في جامعة القاهرة ثم يؤوب الى وطنه .

وليسمح لنا الصديق ايلي تيان ان نستعمل هنا لغته الشعرية الرمزية في كلامنا عن هذه المرحلة من حياة ميشال شيحا .

ينهي ميشال شيحا احدى قصائده ببيت يقول فيه :

«لقد اعطيتني يا رب قلبا يكبر علي واضيق بدفقه» .

ايها السادة ، لا اخالكم الا ان ادركتم ان هذه السجينة كانت محسمة في لبنان . وليس في تجسيم لبنان بعروس ميشال شيحا بعروس من لحم ودم ، اية مبالغة صدقوني وصدقوا كل من عرف ميشال شيحا عن كثب او تابع قراءته بامعان : كان لبنان ضروريا لميشال شيحا متغلغلا في نياط قلبه وشرايين جسده ، واحبه حبا ملموسا ، ولازمه ليلا ونهارا في حوار صميم بناء .

واللباس الذي البسه ميشال شيحا لبنان هو دستوره الذي وضع تصميمه وصاغ فقراته سياجا قوميا منيعا .

بعد انتهاء اجل نيابته عام ١٩٢٩ احس صاحب ذلك القلب الكبيران مجال العمل تحت قبة البرلمان ضيق وان السياسة العملية محدود الافاق ، مضنكة على غير مواراه بين الجهد المطلوب والنتيجة المرتقبة وكانه ، على وعي منه او لا وعي ، لمس الحاجة الى العمل السياسي الشامل ، الى القيادة الموجهة ، الى الفكر الحكيم يلتزم النضال فوق الحزبيات والارتباطات ، في سبيل لبنان الجديد . ولبنان كان يومذاك فتى يتلمس طريقه . فاخذ ميشال شيحا على نفسه ان يخط له سبله السوي . كان عليه ان يعيد انشاء الدولة اللبنانية والامة اللبنانية مع بيروت العاصمة . وكان عليه ان يدرأ اخطر امكانية ان يبدو هذا الوطن وكانه من عمل المحافل الدولية المصطنع ، فيدخله في استمراره التاريخي ويوقظ الذاكرة عند اللبنانيين ، بعد سبات عدة قرون ، ليوطدهم في رسالتهم . كان عليه ان يوضح هذه الرسالة غير اننا سريعا ما ادركناه . فان كانت احدية الذات بين رجل وفكرة قد تحققت يوما ، فقد تمثلا ذلك في مصير ميشال شيحا . كان قد قام في اذهان الاجيال الجديدة رابط وثيق بين حياة ميشال شيحا وديمومة لبنان جعلنا لا نستطيع ان نتصور تفككا بينهما ، غيابا هنا وبقاء هناك .

وهذا ما دعا شارل حلو ان يقول : لقد مات رجل وكان لبنان انحن جراحا .

وهذا ما حمل كمال جنبلاط ان يصرح في مجلس الامة : « ان غياب ميشال شيحا يضع لبنان في حداد . وهذا الغياب خسارة جسيمة البلد ان يكونوا امينين لهذه الرسالة فيستوعبوها كاملة ويعمموها خميرة بعث ونهضة وامل في لبنان والشرق العربي .

. . .

وانت ، يا سيدتي ، يا من فصل عنك رفيق عمرك كما فصل عن لبنان وعنا ، اليس لك ولنا جمع كتاب « التسابيح » ونشره صلة وصل دائم بينه وبيننا ، فكانا واياه في الله تسامر ، وفي لبنانه تعميل مجد لبنان ؟

لذكراه ، يا سيدتي ، سنبقى حافظين وعلى عهده سنظل قائمين مخلصين .